دراسات يمنية

(٥)

موقف النجف الأشرف وصحافتها من احداث اليمن بين ١٩١٠-١٩٢٦م

الاستاذ الدكتورحسن عيسى الحكيم
رئيس جامعة الكوفة
الدكتور : كاظم مسلم العامري

المقدمة

احتل القطر اليمني في الصحافة النجفية ومؤسساتها العلمية موقعا بارزا في الفترة الواقعة بين ١٩١٠. ١٩٢م، فقد تصدى العلماء الاعلام ورجال العلم والفكر للاجنبي المعتدي، ونشرت مجلات النجف وصحافتها فتاوى العلماءعلى صفحاتها،وكانت الاشارات الاولى لهذه الاحداث تعود الى قبل عام ١٩٠٨م،اي في العهد العثماني الاخير في العراق والوطن العربي ، وقد اثبت واقع الحال حقيقة الترابط القومي بين ابناء النجف الاشرف ، وابناء اليمن ، وقد اوضح التراث الثقافي والفكري لمدينة النجف هذه الحقيقة التي تعبر عن الروابط العربية والمشاعر القومية التي تربط العراق بالقطر اليمني ، فقد ارسل السيد اليماني النصور بالله محمد يحيى بن حميد الحسيني قصيدة لامية الى مدينة النجف الاشرف اشار فيها الى القدم التاريخي لارض النجف بتسميته لها بلفظ ((غري العراق))، وقد حث فيها العراقيين على مقاومة الحكم العثماني الرابض على ارض العروبة ،ويستحث في نفوسهم النخوة العربية ، ويطلب فيها من سادات العراق دفع الضيم عن بلادهم ، وقد جاء فيها[١]:

بيض الظبى وصدور الخيل والاسل يصلحن ما افسد الاوغاد والسفل
هبت لنا نسمات الشرق من (نجف) حنت لها صافنات الخيل والابل
ولو ترانا ونار الحرب مضرمة وللمدافع رعد دونه الزجل
يا ناظما من(بني الزهراء)هيج من شوقي الى نصر ما جاءت به الرسل
نظما يطا طيء سحبانا لرقته ويحتذي ما حذاه ال مسك لا الجعل

واشار السيد المنصور بالله الى سياسة التتريك البغيضة التي سلكهاالعثمانيون في الوطن العربي بقوله:

هم افسدوا الدين والدنيا وماعلموا ان الاماني يوفي دونها الاجل
وغيروا كلم القرآن واتخذوا قانونهم ناسخا للدين وانتحلورا
انا نهضنا وللاتراك صلصلة وشدة ضاق عنا السهل والجبل
يا غارة الله حثي السير مسرعة لحل ما عقد الاوباش والسفل

وعند وصول قصيدة السيد اليماني الى مدينة النجف الاشرف احدثت في اوساطها العلمية والثقافية ضجة، فتصدى لها الشراء والادباء بالدراسة والتحليل ،وقد استجابوا لدعوتها الوطنية في سبيل تحرير الوطن العربي من السلطة العثمانية ، ونظم الشاعر النجفي جعفر بن السيد احمد الحسيني الحلي ، قصيدة حماسية ثورية منها[٢] :

انشر لواك مؤيدا منصورا حي الاله لواءك المنشورا
واقصد بخيلك يمنة او يسرة الله جارك لا ترى محذورا
يا ابن النبي محمد وسميه طابت جحورك اولا واخيرا
اعطاك ربك بسطة في دينه فانهض وطهر ارضه تطهيرا
و ليس سيفك(ذو الفقار) به ظلما لا يستقي الا الدم المهدورا

واشار الشاعر الى وصول كتاب السيد اليماني الى العراق ، وما احدث في نفوس المجتمع النجفي من فرح وسرور بقوله :

وصل العراق كتابكم فتهللـــت فرحا واصبح من بها مسرورا

فكانها قبل الكتاب ونشـــره كانت ظلاما فاستحالت نـورا

كم سيد لك بالعـــراق يود ان يلقاك لو كان اللقـا مقدورا

وتكشف هذه المراسلة الشعرية بين السيد اليماني وشعراء النجف عن بلورة الحس القومي المشترك لدى العرب وظهور الحركة الاستقلالية المبكرة عند النجفيين والعراقيين من جهة ، وعند اليمنيين من جهة اخرى، وكان هدف العرب جميعا تحرير البلاد من السيطرة العثمانية ، وقد اكبر شعراء النجف العزيمة العربية الاستقلالية لدى امراء اليمن وائمتها [٣] ،

وقد امتد افق الشاعر العربي النجفي الى ارض اليمن وتفاعل مع احداثها فيقول[٤] :

يحيى الامام من انقاد الانام له يحيى نفوس الورى ذكر اسمه العذب

لا نبتغي غير آل الله تراسنـا يا آل هاشـم انتم نخـوة العـــرب

انا بني يعرب لا نرتضي ابدا مليك سوء لئيم الاصل والحســـب

وقد تابعت الصحافة النجفية احداث اليمن والبلاد العربية الاخرى وتصدت للعدوان الاجنبي على ارض العروبة بالشعر والنثر ودعت الى وحدة العرب للوقوف بوجه المستعمر الغاشم الذي وجد موضع قدم في بلاد العرب قبيل الحرب العالمية الاولى،وذلك من خلال((مجلة العلم)) و((جريدة النجف))، وقد جعلناهما نموذجين لهذه الدراسة ،

مجلة العلم واحداث اليمن

حملت ((مجلة العلم)) الصادرة في مدينة النجف الاشرف عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، لصاحبها العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني راية التجديد والاصلاح ، ودعت الى النهوض والاستقلال ،وتحرير الوطن العربي والبلاد الاسلامية من براثن الاستعمار ،واعطت للتطورات السياسية والفكرية اهمية بالغة ، ومساحة عريضة في صفحاتها ،وسلطت الاضواء على نزعةالشعب العربي في

اليمن ،الرافضة للاستعمار والسيطرة الاجنبية ،اضافة الى الوجود العثماني الرابض على بلاد العرب ،وهذا قد ادى الى مساندة مثقفي مدينة النجف للحركة الاستقلالية اليمنية منذ مطلع القرن العشرين ، ولم تتاثر الفئة المثقفة في النجف بحملات التشويه التي شنها الغرب على الشعب العربي اليمني [٥]، وقد فسرت مدينة النجف انغلاق بلاد اليمن على نفسها في تلك الفترة نابع من حرصها على حماية ثقافتها العربية الاسلامية ، ومجتمعها من السيطرة الاجنبية ، سواء كانت استعمارية غربية ، او عثمانية شرقية ،فقد اوضح التغلغل الاجنبي الاستعماري في بلاد اليمن لدى النجفيين صورة عن عجز الدولة العثمانية من الدفاع عن البلاد العربية ازاء الغزاة الاجانب [٦] ،فقد باتت الاهداف الاستعمارية واضحة تجاه العرب ، فقدمت ((مجلة العلم)) صورة واضحة عن التطورات السياسية ، فابرزت دور اليمن في مواجهة الاستعمار الايطالي الذي استهدف كلا من اليمن وليبيا [٧] ، وتوصلت المجلة الى ان الدولة العثمانية قد وصلت الى حد العجز من الدفاع عن الاراضي العربية من الغزو الاجنبي وعمدت الى استنهاض ابناء اليمن للدفاع عن بلادهم ،لان الاستعمار الغربي لم يستهدف ارض اليمن فحسب ، بل كان يستهدف جميع البلاد العربية [٨] ، وهذا مما دفع امام اليمن المتوكل على الله يحيى ، والامير محمد بن ادريس على مجاهدة الاستعمارالايطالي في مدينة طرابلس الغرب ، فنشرت مجلة العلم برقية مرفوعة للامام يحيى جاء فيها [٩] :

((الامام يحيى إتحد معنا لدفع ايطاليا))

واشارت المجلة الى برقية رفعها الامام يحيى الى الصادرة في الدولة العثمانية جاء فيها :

((بلغني ان بعض الاجانب يتجاوزون على طرابلس الغرب والحديدة ، فانا على اهبة الاقدام بمائة الف فدائي مبارز حتى يمن الله باعلاء كلمته)) ،

واوردت المجلة صدى العدوان الايطالي على طرابلس الغرب لدى الشعب اليمني بقولها : ((ورد نبا من الحديدة يفيد ان السيد الادريسي استاء من اعتداء

الايطاليين وارسل كتابا الى قائد القوة العمومية في اليمن يطلب منه مساعدته للسفر مع اربعين الف مجاهد الى السواحل الايطالية بالسنابيق للجهاد)) ،

وقد باركت ((مجلة العلم)) اتحاد الامامين يحيى والادريسي والسيد السنوسي وبقية امراء العرب ،وقد فسرت هذا الاتحاد بانه نتيجة اضطهادات وتجاوزات الاجانب على اوطاننا فهذه الدول الاوربية في هجماتها الظالمة على بلادنا اشبه بالباحث عن حتفه بظلفه فهم يخدموننا من حيث لايشعرون [١٠] ،

وقد وقف علماء النجف الاشرف الى جانب الشعب العربي وحسبوا ان تقاعسهم سوف يؤدي الى التفريق والتجزئة كما حصل ((لقوم سبا)) ، وقد اصدروا الفتوى الآتية:

((بسم الله الرحمن الرحيم : من علماء النجف الاشرف الى كافة المسلمين الموحدين ،ومن جمعتنا واياهم جامعة الدين والاقرار بمحمد صلى الله عليه آله وسلم سيد المرسلين ،السلام عليكم ايها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الاسلام لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الاسلام وثغوره مما قام اجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه قال الله سبحانه : ((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل ووالله)) هذه جنود ايطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من اعظم الممالك الاسلامية واهمها وخربوا عامرها وابادوا ابنيتها وقتلوا رجالها ونساءها واطفالها ما لكم تبلغكم دعوة الاسلام فلا تجيبوه ؟ وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ؟ اتنتظرون ان يزحف العدو الى بيت الله الحرام وحرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والائمة عليهم السلام ويمحوا الديانة الاسلامية والدولة العثمانية عن شرق الارض وغربها وتكونوا معشر المسلمين اذل من قوم سبا فالله الله في التوحيد ، الله الله في الرسالة ،الله الله في احكام الدين وقواعد الشرع المبين فبادروا الى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله وانفقوا ولا تفرقوا ،واجمعوا كلمتكم وابذلوا اموالكم ، وخذوا حذركم ،واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم لئلا يفوت وقت

الدفاع وانتم غافلون ، وينقضي زمن الجهاد وانتم متثاقلون فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ،

ووقع على هذه الفتوى من علماء النجف الاشرف كل من [١١] :

١. الشيخ محمد كاظم الخراساني

٢. الشيخ عبد الله المازندراني

٣. الشيخ شيخ الشريعة

٤. الشيخ علي رفيش

٥. السيد مصطفى الحسيني

٦. الشيخ محمد حسين القمشي

٧. الشيخ حسن الجواهري

٨. الشيخ محمد جواد الشيخ مشكور

٩. الشيخ محمد الجواهري

١٠. السيد علي التبريزي

١١. السيد محمد سعيد الحبوبي

١٢. الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن الشيخ راضي

وقد احدث العدوان الايطالي على ليبيا ردود فعل لدى الشعب العربي ونبههم الى ضعف الدولة العثمانية ، وعجزها عن حماية الاراضي العربية في الوقت الذي سحب الاتحاديون قواتهم من الاراضي الليبية في شهر ايلول ١٩١١م الى اليمن في سبيل القضاء على الثورات فيها وكان بامكان الدولة العثمانية حل المشكلة اليمنية بالطرق السلمية ، وعرض الامر على مجلس ((المبعوثان)) [١٢] ، وقد ادى الى هدر دماء الشعب اليمني وطعن العرب بالصميم ،

وقد احدثت التطورات السياسية في الساحتين اليمنية والليبية لدى ابناء مدينة النجف الاشرف قلقا واضطرابا ، وخاصة بعد قصف موانىء الحديدة والمخا والشيخ سعيد بالقنابل عام ١٩١٢م، فخرجت مظاهراتٍ صاخبة في مدينة النجف ، مستنكرة هذا العدوان وعقدت الاجتماعات ، وتليت القصائد والكلمات ،

وافتى علماء الدين بالجهاد [١٣] وتشكلت لجان تطوع للجهاد في النجف للدفاع عن الاراضي التي اغتصبها الاستعمار ، وساهم الشعراء والمثقفون في تعبئة الراي العام [١٤] ،

جريدة النجف ودفاعها عن الشعب اليمني

ساهمت جريدة النجف الصادرة في مدينة النجف الاشرف عام ١٩٢٥م للاستاذ يوسف رجيب في الحديث عن احداث اليمن في هذه الفترة في محاولة لتوثيق العلاقة بين العراق واليمن ، فقد نشرت قصائدا وبحوثا لعدد من الشعراء والكتاب مكرسة للقضية اليمنية ، وتصدت الى بعض كتابات الاستاذ امين الريحاني وكتابه ((ملوك العرب)) تحت عنوان ((الريحاني في ميزان النقد او نظرة في كتابه ملوك العرب))، عند حديث الريحاني مع سلطان لحج، وقد استاءت ((جريدة النجف)) ، من بعض العبارات التي اطلقت عليها لفظ ((السوداء)) منها : ((اي فائدة للعرب في تسجيل هذه اللطخة السوداء في جبهة العربية وتخليد شنارها وعارها لدى الامم مدى الدهر))(١٥) ، وقد كررت الجريدة بسخرية قول الاستاذ الريحاني : ((اموت في حب العرب))وردت عليه قائلة ((انه يتدانى الى ان يخدش حتى في عفة حرائرهم)) ، واعطت ((جريدة النجف)) نموذجا لعروبة اليمن من خلال لقاء الريحاني مع امير الجيش في مدينة ذمار الذي اوضح للريحاني : ان اليمن بلاد الحق والعدل والدين والصدق والوفاء ، فلا خمر ولا فسق ولا زنا ولاقتل ولا سرقة ولا رياء ولا رشوة ولا اغتصاب ، وقد خصصت الجريدة في عددها ((٤٥)) مقالات بقلم ((ابو الحارث)) والمقصود به سماحة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء بقوله: ((يقولون : اي سادة اليمن ، هؤلاء قوم فلان او القبيلة الفلانية هجرتنا ، اي في حمايتنا))[١٦] ، وقد ادت ردود الامام كاشف الغطاء الى توترالعلاقة مع الاستاذ الريحاني وادت الى القطيعة بينهما ، وقد اشار الشاعر النجفي الشيخ عبد المهدي مطر الى ذلك بقوله [١٧] :

يا ابا الحارث لا ريع الحمى والحمى انت به الليث المثار
لا دجت شبهته في حالك لايجلي ليلها منك النهار

خاتمة البحث

يعد موقف النجف الاشرف من احداث اليمن في الفترة التي حددها البحث جزءاً من مواقفها القومية من احداث الوطن العربي وكانت في الوقت نفسه قد اعدت العدة لجهاد الايطاليين لتحرير مدينة طرابلس الغرب، ولنا في التاريخ شواهد على وقوف النجف مع الشعب العربي في تونس والجزائر والمغرب في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي ، وفي نضال الشعبين السوري واللبناني ضد المستعمر الفرنسي الغاشم ، والشعب الفلسطيني في نضاله المرير ضد الاستعمار والصهيونية ، ووقوف النجف بحزم ضد العدوان الثلاثي على مصر العربية ، وقدمت العديد من الشهداء احتجاجا على تدنيس الارض العربية ، وان هذه المواقف تعبر عن عمق الشعور القومي لدى النجفيين ازاء القضايا العربية ، واذا وضعنا فتاوى علماء الدين في الجهاد ، ومؤلفات الكتاب وقصائد الشعراء نجدها تشكل تراثا فخما قد كرس للنضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية ونحن على ثقة لو اننا استثمرنا الصحف النجفية ، وكتابات المثقفين وقصائد الشعراء الخاصة باليمن واحداثها بعد عام ١٩٢٦م، لاضافت الى كتابنا هذا الكثير من المعلومات واملنا وطيد بحملة العلم والثقافة من اكمال الشوط الذي بدانا به ، ومن الله التوفيق ،

هوامش البحث

١ـ محمد حرز الدين : معارف الرجال ١/١٧٤، الدكتور مهدي البستاني : ((مواقف قومية في الادب النجفي الحديث)) مجلة كلية الفقه (النجف الاشرف) العدد الثالث ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م،

٢. جعفر الحلي النجفي : سحريابل وسجع البلابل ص٢١٧ص٢١٨،

٣. مجلة العلم (النجف) العدد السادس لسنة ١٩١٢م . ص٢٤٨،

٤. علي الخاقاني : شعراء الغري ٣/ ١٤٠. ١٤٥،

٥. امين الريحاني : ملوك العرب ١/ ١٠٠،

٦. مجلة العلم ، العددالخامس ، لسنة ١٩١١م ، ص٢١٠. ص٢١٣،

٧. مجلة العلم ،العدد الخامس،

٨ـ مجلة العلم ، العدد الخامس ، كاظم مسلم العامري : الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية ١٩١٠. ١٩٣٢م ، ص ١٧٢. ص١٧٣،

٩ـ مجلة العلم ،العدد السادس ، المجلد الثاني لسنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، ص٢٤٨،

١٠. مجلة العلم ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني لسنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ص٢٨٥،

١١ـ مجلة العلم ، الجزء السادس، المجلد الثاني لسنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، ص٦. ص٢٤٧، عبد الرحيم محمد علي : المصلح المجاهد ص١٨٤. ١٨٥،

١٢. ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية ص١٧٢، جريدة صدى بابل ، السنة الخامسة ، الصادرفي الخامس من تشرين الاول ١٩١١م،

١٣ـ وميض جمال عمر نظمي : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ١٩٢٠م، ص١٢٢،

١٤. ابراهيم الوائلي : الشعر العراقي وحرب طرابلس، عبد الله فياض: الثورة العراقية الكبرى ص١١٦. ص١١٨،

١٥. جريدة النجف ، الاعداد (٤٢،٤١،٤٠) لسنة ١٩٢٦م،

١٦. جريدة النجف ،العدد(٤٥) لسنة ١٩٢٦م،

١٧. محمد حرز الدين : معارف الرجال٢/ ٢٧٤،

المصادر والمراجع

البستاني مهدي جواد حبيب (الدكتور)

١. مواقف قومية في الادب النجفي الحديث ، مجلة كلية الفقه / النجف الاشرف ، العدد الثالث، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م،

حرز الدين : محمد

٢. معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء،مطبعة الاداب،النجف الاشرف١٣٨٣هـ/١٩٦٤م،

الحصري : ساطع

٣. البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٠م،

الحلي النجفي : جعفر

٤. سحر بابل وسجع البلابل ، مطبعة العرفان/ صيدا ١٣٣١هـ ،

الخاقاني :علي

٥. شعراء الغري او النجفيات، المطبعة الحيدرية / النجف الاشرف ١٩٥٤. ١٩٥٦م،

الريحاني :امين

٦. ملوك العرب ، المطبعة العلمية/ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٢٩م،

العامري : كاظم مسلم (الدكتور)

٧. الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية ١٩١٠- ١٩٣٢م، رسالة دكتوراه/ كلية الاداب. جامعة الكوفة عام ٢٠٠٠م،عبد الرحيم محمد علي.

٨. المصلح المجاهد محمد كاظم الخراساني ، مطبعة النعمان / النجف

الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٩. الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، فياض: عبد الله، الدكتور الطبعة الثانية / مطبعة دار السلام / بغداد ١٩٧٤م،وميض جمال عمر نظمي (الدكتور).

١٠. الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية الاستقلالية في العراق، بغداد ١٩٨٥م،

الوائلي :ابراهيم

١١. الشعر العراقي وحرب طرابلس، بغداد ١٩٧٨م،

الدوريات

١. مجلة العلم ،النجف الاشرف لعامي ١٩١١، ١٩١٢،

٢. جريدة النجف / النجف الاشرف لعامي ١٩٢٥، ١٩٢٦،

٣. جريدة صدى بابل / بغداد لعام ١٩١١،